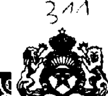
311



خطاب جلالة الملك

أثناء حفلة توأمة مدينتي فاس والقيروان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

فخامة الرئيس :

ليس من شك عندنا، أنكم شعرتم منذ وضعتم قدمكم فوق تراب هذا الوطن — حيثما كنتم، وأينما حللتم وارتحلتم — بأنكم بين جيرة أحباء، وإخوة أشقاء، شعرتم — ولا ريب — منذ ذلك الحين، شعور الأليف بين الالآف، والمشوق إلى المشتاق، والعائد بعد النزوح والغياب، إلى السكن المحبوب، والوطن المرغوب. وليس من شك عندنا من جهة أخرى، أن هذا الشعور اكتسى صبغة خاصة، منذ دخلتم مدينة فاس، التي تربطها بإحدى مدن بلادكم قرابة وشيجة، ورحم ماسة مكينة، لقد دخلتم مدينة فاس، فرحبت بمقدمكم أيما ترحيب، وابتهجت بركبكم أحسن ما يكون الابتهاج بالأحباء الذين تصلها بهم وببلدهم صلات أحكمها الزمن البعيد والعهد القريب، لقد استقبلتكم هذه العاصمة، وقلوب سكانها مترعة بذكريات البطولة والمجد، مفعمة بخواطر العز والسؤدد، يذكر سكانها ما كان بين الشعبين الشقيقين عبر العصور والأزمان، من ارتباط عريق، والتحام وثيق، فيفرحون أشد ما يكون الفرح، بهذا اللقاء الجديد، ويذكرون إلى جانب هذا كله، المساعي المتضافرة، والجهود المتلاحقة، والنضال المرير، والطريق العسير الذي سلكناه جميعا، وما بالعهد من قدم، لبلوغ الأهداف الصعبة المنال، فيحيون في شخصكم الأخ الشقيق، سليل الإخوة الأشقاء.

فخامة الرئيس :

لقد خامرنا ونحن في ضيافتكم وضيافة شعبكم الكريم، خلال زيارتنا الأخيرة لبلدكم، الشعور بأننا بين الأحباب والقرباء، وبين شعب تصله بشعبنا أقوى الصلات وأوثق الروابط، فلما حللنا صحبتكم مدينة القيروان، أحسسنا إلى جانب ما كان يضطرب بين جوانحنا من عواطف، إحساساً لم يخالجنا من قبل، فرجعت بنا الذاكرة إلى الوراء، واستعرضنا صفحات غراء، مليئة بالعز والمجد، بقيت ماثلة لم تعبث بها يد الدهر، ولم تعصف بها الأزمان والعصور، وازداد إيماننا بأن للمغرب العربي أصولا ثابتة، وقواعد راسخة، أقامتها القربى المستحكمة وأرساها التاريخ المشترك، ولا نرتاب في أنكم بعدما حللتم بهذه المدينة ، شعرتم بمثل ما شعرنا به ونحن بالقيروان، فأنتم بالاضافة إلى وجودكم بين الجيرة والأحباب والإخوة الكرام، في مدينة بينها وبين مدينة القيروان رحم موصولة، ونسب معلوم، ولئن ظفرت مدينة فاس بما ظفرت به من عمران واسع، وازدهار شامل، فإن من عوامل ذلك، ما نالته — وهي في ميعة الصبا — من شقيقتها القيروان، إذ لم يمض على تأسيس مدينة فاس، إلا زمن قليل، حتى وفد عليها عدد كبير من أهل القيروان، أكرم المولى إدريس وفادتهم، وأسكنهم بالجانب الغربي، فعمروا هذا الجانب، واختصوا به حتى أطلق عليه المؤرخون — إشارة إلى ساكنيه — اسم عدوة القرويين، تمييزا لها من عدوة الأندلسيين، فبرزت من أهل القيروان الوافدين على هذه الحاضرة، سيدة فاضلة، هي فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري، المعروفة بأم البنين، وبنت من مالها مسجد القرويين، الذي ما لبث أن أصبح حوضاً من حياض المعرفة، ومورداً من موارد العلم، طبقت شهرته الآفاق، وسارت بذكره الركبان، وأصبحت



بفضله مدينة فاس، مركز إشعاع ثقافي وحضاري في العالم يؤمه الناس من مختلف الأقطار والأمصار ولم تنقطع الصلات بين مدينة فاس، بعد انتشار عمرانها، وبين مدينة القيروان بل بقي الارتباط بينهما وثيقاً على ممر العصور في سائر الميادين، ولاسيما ميدان العلم والثقافة، هذا علاوة على ما كان بين القطرين الشقيقين التونسي والمغربي، بصفة عامة، من مبادلات وصلات.

فخامة الرئيس :

لا يكاد الزائر يصل إلى هذه الحاضرة العظيمة، شقيقة القيروان المجيدة، سواء كان مواطناً أو أجنبياً حتى تعود به الذاكرة إلى الأطوار التاريخية التي تقلبت فيها، والأدوار الكبيرة التي قامت بها طيلة ثلاثة عشر قرنا، على مسرح السياسة والاقتصاد، والعلم والثقافة، والأدب والفن، والحضارة والعمران، لا في المغرب الأقصى وحده، ولكن في غرب العالم الاسلامي كله.

فقد عمت شهرة هذه الحاضرة كل زمان، وقوي تأثيرها فيما حولها من أمصار وبلدان ؛ ولقد كان دور جامعة القرويين من بين هذه الأدوار دور الواسطة من العقد، والحوض من الروض، إذ أنها خدمت بتفان وإخلاص، أنواع المعرفة وفنون الثقافة، فما من مجال علم، أو ميدان فن، طرقه العرب والمسلمون، إلا وكان لعلماء القرويين فيه جولات موفقة، وصولات ظاهرة ؛ وهل يذكر الفقه دون أن يذكر أبو عمران الفاسي، والدراس بن اسماعيل، وأبو الحسن الصغير، أم هل يذكر النحو دون أن يذكر ابن آجروم، الذي صارت المقدمة المنسوبة إليه عنواناً للنحو وعلماً له ؟، أم هل يذكر التاريخ، دون أن يذكر ابن أبي زرع والجزنائي، والفشتالي ؟ أم هل يذكر الشعر والأدب، دون أن يذكر الجراوي وابن حبوس، وابن الخطيب والمقري، وسواهم من الأفذاذ، الذين نبتوا في تربها، أو وفدوا عليها من الخارج، للكرع من حياضها، فطاب لهم المقام، وألقوا بها عصى التسيار.

فخامة الرئيس :

إذا كانت عزيمتنا منصرفة اليوم إلى بناء المغرب العربي، وإرساء قواعده على أسس متينة، وكنا نهتم اليوم بأن يكون هذا البناء منتظماً لسائر الميادين الثقافية منها والاقتصادية والاجتماعية، فإن عملنا الذي يتسم بطابع جديد إنما هو عمل يصل بين الماضي والحاضر، ويدخل في نطاق ما دأب عليه أسلافنا من قبل، ويتمم ما بدأوه ويصل ما انقطع منه بحكم الظروف والملابسات، التي منيت بها بلاد المغرب العربي، وإذا كان من جميل حظ المسؤولين عن قطرين شقيقين، أن يشرفا على حفلة التوأمة بين مدينتين عظيمتين، لما أدتاه من رسالة، وبانتسابهما إلى رجلين عظيمين : عقبة بن نافع الفهري، وإدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل الحسني، كلاهما كان له المكان المحمود، والسعي المجيد المبرور، في تثبيت دعائم الاسلام في الديار المغربية، إذا كان من جميل حظنا الاشراف على هذا الحفل، فإن من دواعي مسرتنا وابتهاجنا، أن تكون التوأمة بين المدينتين بمناسبة زيارة فخامتكم لهذا البلد الذي هو جزء من وطننا الكبير : المغرب العربي. وإنه لمما يثلج صدرنا، أن تكون زيارتكم لمملكتنا، فرصة نغتنمها لتمتين الأواصر الجامعة بين دولتكم ودولتنا، وأن يكون لقاؤنا في هذا الحفل الميمون دليلا جديداً يضاف إلى غيره من الأدلة على التآلف المستمر، والتآخي الموصول، واللقاء الممتد عبر القرون بين الإخوة الأشقاء.

أسأل الله أن يبارك هذا الحفل، ويزيد أسباب التواصل بين المدينتين المتآخيتين قوة ومتانة، ويغدق نعمه عليهما، ويكفل لهما وسائل النمو المطرد، والازدهار المتصل، ويمدهما بعونه، حتى تؤدي كلتاهما رسالتها المعهودة،



ويحفظهما من كل مكروه.

كما أسأله تعالى أن يسدد خطانا، ويوفق جهودنا، ويهدينا إلى الصراط المستقيم، ويؤيد بنصره المبين، كل عمل نتوخى من ورائه الخير لشعوب مغربنا العزيز، ولسائر الشعوب العربية والاسلامية.

إنه ولي التوفيق والتسديد.

ألقي بفاس

الجمعة 27 جمادى الثانية 1385 — 22 أكتوبر 1965